

الأديب و المفكر الراحل رمضان عبد الرحمن لاوند سيد المنابر

منوعات دينية 4

مؤثرات موسيقية

الراوي : " وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ .. "

الراوية : " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۗ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ " ..

الراوي : أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ ۗ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ " ..

الراوية : أَفْرَأُ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَفْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) " ..

الراوي : طلب العلم فريضة على كل مسلم .

الراوي : وأيضاً فريضة على كل مسلمة .

الراوي : إن مثل العلماء في الأرض كمثل النجوم يهتدي بها في ظلمات البر والبحر فإذا انطمست النجوم أوشك أن تضل الهداة .

موسيقى .. دقة سريعة

الراوية : العلم هو هذه الكوة التي يطل منها الإنسان على مخلوقاته يكشف عن أسرارها ويستفيد من النعم الكامنة فيها فيزيد وعيه بجلال الخالق عز وجل .. ويتسع أفقه في استيعاب الكون وأشياء الأرض .. كلما وقع على خبرة جديدة زاد قلبه يقيناً واستقبل عقله مزيداً من الضياء ..

الراوي : والعلم هو الوسيلة الى معرفة الماضي والتأمل فيه .. ينفذ إليه بما يتيسر من أسباب المعرفة ثم يواجه مستقبله في ضوء ما عرفه من الماضي وكشفه من أسرارهِ .

الراوية : والعالم الحقيقي هو الذي يزداد تواضعاً كلما زادت معرفته بأسرار الخلق . فهو في الوقت الذي يستمتع فيه بما عرفه يدرك ضخامة ما لم يعرفه وسعته فيزداد صدوعاً بأمر الله وبعلمه احساسه بعظمة الله ..

الراوي : وللعلم طرائق كثيرة ومسارب متعددة .. علم ينبع من أعماق الذات يكتشف صاحبه به أسرار نفسه ويتعرف إلى الجوانب الخفية من ثروات القلب والعقل .. ولا سبيل إليه إلا بالتطهر من الشوائب والتغلب على الشهوات التي تमित القلب وتحيط العقل بالظلمات .

الراوية : والتقوى هي السبيل الى هذا العلم . أوليس أنه جل وعلا يقول في محكم تنزيله : " وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ " .. وهل التقوى غير الوسيلة التي ينصرف بها العابد إلى أعماق النفس يتأمل أسرارها ويحاول أن يستوعب معانيها ؟ والعبادة المكتوبة هي وحدها التي تتجسد بها التقوى فيبلغ العابد بها أغراضه ويحقق بها ذاته .. فإذا لم تكن العبادة موضعاً للتقوى فإنها تبطل أن تكون عبادة بالمعنى الذي قصد الشارع إليه ..

الراوي : والله عز وجل إذ يحض المؤمن على التعلم يشير إلى طريق من طرق العلم حين يقول في محكم تنزيله : " وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفْئَالَ تُبْصِرُونَ " ..

الراوية : ولو أننا قلبنا وجوهنا فيما انتهى إلينا من تراث البشرية لتبين لنا كم أفاد الإنسان من علوم نفسه وأسرارها حين انصرف إليها يتأمل ما فيها من الحقائق والوقائع . ومع ذلك فإن ما عرفه منها حتى اليوم يبقى بالنسبة لما لم يعرفه منها قطرة في بحر واسع عظيم ..

الراوي : وكما تشرق نفس التقي المتأمل ببعض ما فيها من المعارف وتشكف عن بعض ما فيها من الأسرار فقد أنعم الله علينا بطريق آخر من طرق العلم . إنه الطريق الذي حضنا على السير فيه لننظر كيف بدأ خلقه ونتعرف إلى السنن التي انتظمت بها أشياء هذا الخلق العظيم .. وهل كان ما ينعم به الإنسان اليوم من المخترعات التي يسرت له أسباب العيش وأمدته بمدد لا ينقطع من الرزق والقوة والنظام غير أثر من آثار هذا الطريق العلمي الذي بدأ منذ فجر الحضارات البشرية يتعرف فيه إلى سنن الله في أرضه وسمائه ؟

الراوية : إن المؤمن الحقيقي لا يقف في سعيه إلى المعرفة عند التأمل في ذاته وأمام تطهيره لنفسه بل يلجأ إلى ملكاته الفكرية فيتعامل مع الطبيعة والكون يلاحظ ويجرب فيستخرج بملاحظته وتجربته ما هو في أمس الحاجة إليه لإعمار دنياه وتيسير أسباب عيشه والتسلح بما يدفع به الأخطار عن دينه وحقه في حياة حرة كريمة .

الراوي : هذا معنى قوله عز وجل : " قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .. "

الراوية : وليس أعود على القلب بالمزيد من اليقين من أن يدرك حين يستوعب سنن الحياة والكائنات بأن من خلقها بادىء الأمر قادر على أن يخلقها كرة أخرى متى يشاء وكيف يشاء .

الراوي : ولعل أفضل ما نستشهد به من الأقوال الماثورة ما رواه ابن عبد البر عن معاذ بن جبل رضي الله عنه : العلم هو " الأنيس في الوحشة ، والصاحب في العربة ، والمحدث في الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء .. به يعرف الحلال من الحرام ، وهو أمام العمل والعمل تابعه. ..
موسيقى .. دقة سريعة

الراوية : وليسمح لي في هذه المناسبة أن أستشهد بتعريف آخر لهذا الطريق من العلم جاء فيه : " العلم هو تلك المنحة الربانية العجيبة التي منحها الله للإنسان وكرمه بها وفضله . وهي إحدى معجزات الخلق نمر بها غافلين لأننا تعودناها أولاً نفتح أفواهنا من العجب ، ولا تخفق قلوبنا من البهر إلا حين يقع العلم على سر هائل من أسرار الكون ، أو يفتح باباً جديداً على المجهول .. مع أن المعجزة هي المعجزة ، في الصغير والكبير سواء ، كشأن الحياة تعجز في الخلية المفردة كما تعجز في أعقد الأحياء" ..

الراوي : على أن طرق العلم ليست محصورة في التأمل في أسرار النفس وخفاياها ولا في التعامل مع أشياء الخلق التي تقع عليها أبصارنا ونمسها بأيدينا بل هناك طريق ثالث منحتنا إياه العناية الإلهية أنه طريق التفكير فيما يحيط بنا من المخلوقات .

الراوية : هذا صحيح جدا .. أفليس مما يعيننا على اكتشاف عظمة الخالق أن نتأمل ونتفكر في الأحياء كيف يتوالدون وفي السموات كيف رفعت ، وفي الأرض كيف بسطت وفي الجبال كيف نصبت ؟ ثم أليس مما يساعدنا على الوعي بعظمة الخالق جل وعلا حين نكتشف كيف يتتابع الليل والنهار وتنشق الأرض عن نباتاتها وتحمل إلينا الغيوم أمطارها ونستبين الدور الذي تقوم به الجبال في الأرض ونتابع الفصول التي يتعاقب بها الخصب والجفاف ونكتشف دور كل فصل من الفصول في تيسير أسباب العيش وتهيئة مصادر الرزق الحلال ؟

الراوي : هذا ما قصد إليه ربنا سبحانه وتعالى حين قال لنا في محكم تنزيله : " أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ .. صدق الله العظيم ..

الراوية : لكن الله جلت قدرته وعظمت منحه وامتدت بظلالها عنايته لم يتركنا حيارى أمام المغيبات من المعارف والمقاصد ولم يدعنا لأنفسنا عاجزين عن معرفة ما كنا فيه قبل أن نوهب الحياة وما سنصير إليه بعد الممات . فأنزل في محكم تنزيله العلوم المغيبة عنا وهو الذي في سابق علمه يعلم أننا عاجزون عن التوصل إليها بأنفسنا . فجعل من هذه العلوم تكملة لمعارفنا التي وكل إلينا الحصول عليها وجعل الإيمان بها قاعدة لحياتنا الدنيوية ووسيلة لنيل الحسنين في الدنيا والآخرة .

الراوي : من أجل ذلك كان الإيمان بهذه العلوم المغيبة شرطاً لكمال الإيمان به عز وجل ووسيلة لإدخال الطمأنينة إلى نفوسنا . فقال لنا في بداية سورة البقرة من محكم تنزيله : " الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۚ فِيهِ ۙ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) .. صدق الله العظيم ..
موسيقى .. دقة سريعة

الراوية : ولكن كيف السبيل إلى احتواء هذه العلوم ؟ وما هي الوسيلة الى حفظها والإبقاء عليها تراثاً غنياً للأجيال اللاحقة ؟ وما هي قيمة العلوم إذا لم تنتقل إلى الأجيال القادمة لتتابع هذه الأخيرة رحلة المعرفة ؟

الراوي : صدقت يا عزيزي .. لكن الله عز وجل أجاب عن هذا التساؤل . وكان جوابه أول ما نزل به الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم وهو في غار حراء . لقد نزل جبريل عليه السلام يقول له لأول مرة وقبل أن يحمي الوحي في توجيهاته وتشريعاته : " : أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (3) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (4) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (5) " ..

الراوية : بذلك تكتمل دائرة العلم . فبالقراءة والكتابة بالقلم تتوارث الأجيال تجارب الآباء والأجداد .. وبالقراءة والكتابة تنتقل جملة ما اجتمع لهذه الأجيال من تجارب القدماء إلى الأجيال اللاحقة من بعد .

الراوي : ولولا القراءة والكتابة بالقلب لبقيت البشرية تراوح ثابتة في المرحلة التي بلغها الجيل البشري الأول..وليس أدل على ذلك من أن الشعوب التي لم تحسن فن القراءة والكتابة قد بقيت تراوح مكانها لا تتقدم أبداً في الطريق إلى المعرفة وبالتالي في الطريق إلى الله .

الراويّة : أفلا يجدر بنا نحن الذين تلقينا مثل هذا الإرث العظيم بما فيه من خير الدنيا والآخرة ، أن نتقن الوسيلة الى احتواء العلوم فيتسع أفق المعرفة عندنا وتزداد صلتنا بالله قوة ورسوخا .

الراوي : ولئن قلنا يوماً من الأيام أن إشراقة الشمس بنور ربها دعوة للتعامل مع النفس والحياة والطبيعة والأكوان بالعقل النير والعزم الشديد والقلب الذكي فإن الإنسان في ساعة الظهيرة جدير بأن يقدم لنفسه ولمن يعولهم من أسرته ويشرف على تربيتهم من أولاده حصيلة جديدة تكون عنواناً على بركة يومه واعلاناً عن تحقيق مكسب جديد له ولغيره .

الراويّة : فلا عجب من بعد أن يروي الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : العلم فريضة على كل مسلم .. وفي رواية أخرى على كل مسلمة . فلا إيمان بلا عمل صالح .. ولا عملاً صالحاً إلا بالعلم .. ولا علم إلا باتقان القراءة والكتابة اللتين نتعلم بهما برعاية من الله ما لا نعلم .

موسيقى .. الخاتمة الدائمة